

تفسير البحر المحيط

@ 127 @ ثواباً ولا تخاف عقاباً ولا تفهم خطاباً ؛ انتهى . ومن ذهب هذا المذهب تأول حديث أبي هريرة على معنى التمثيل في الحساب والقصاص حتى يفهم كل مكلف أنه لا بد له منه ولا محيص وأنه العدل المحض . قال ابن عطية : والقول في الأحاديث المتضمنة أن [] يقتص للجماء من القرناء ، أنها كناية عن العدل وليست بحقيقة قول مرذول ينحو إلى القول بالرموز ونحوها ؛ انتهى . .

وقال ابن فورك : القول بحشرها مع بني آدم أظهر ؛ انتهى . وعلى القول بحشر البهائم مع الناس اختلفوا في المعنى الذي تحشر لأجله ، فذهب أهل السنة أنها لإظهار القدرة على الإعادة وفي ذلك تخجيل لمن أنكر ذلك فقال : من يحيي العظام وهي رميم ؟ وقالت المعتزلة : يحشر [] البهائم والطير لإيصال الإعواض إليها وكذلك قال الزمخشري ، فيعوضهما وينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء ؛ انتهى . وطول المعتزلة في إيصال التعويض عن آلام البهائم وضررها وأن ذلك واجب على [] تعالى . وفرعوا فروعاً واختلفوا في العوض أهو منقطع أم دائم ؟ فذهب القاضي وأكثر معتزلة البصرة إلى أنه منقطع فبعد توفية العوض يجعلها تراباً ، وقال أبو القاسم البلخي : يجب كون العوض دائماً . وقيل : تدخل البهائم الجنة وتعوض عن ما نالها من الآلام وكل ما قالته المعتزلة مبناه على أن [] تعالى يجب عليه إيصال الإعواض إلى البهائم عن الآلام التي حصلت لها في الدنيا ، ومذهب أهل السنة أن الإيجاب على [] تعالى محال . .

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ } قال النقاش : نزلت في بني عبد الدار ثم انسحبت على سواهم ؛ انتهى . ومناسبة هذه لما قبلها أنه لما تقدم قوله : { إِنَّ زَمَناً يَسْتَدْجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } أخبر أن المكذبين بالآيات صم لا يسمعون من ينبههم ، فلا يستجيب أحد منهم ولما كان قوله : { وَامَّا مِنْ دَابَّةٍ } الآية منبهاً على عظيم قدرة [] تعالى ولطيف صنعه وبديع خلقه ، ذكر أن المكذب بآياته هو أصم عن سماع الحق أبكم عن النطق به ، والآيات هنا القرآن أو ما ظهر على يدي الرسول من المعجزات أو الدلائل والحجج ثلاثة أقوال والإخبار عنهم بقوله : { صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ } الظُّلُمَاتِ { الظاهر أنه استعارة عن عدم الانتفاع الذهني بهذه الحواس لا أنهم { صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ } حقيقة وجاء قوله : { فِي الظُّلُمَاتِ } كناية عن عمي البصيرة ، فهو ينظر كقوله : { صُومٌ وَبُكْمٌ عُمَى } لكن قوله : { فِي الظُّلُمَاتِ }

أبلغ من قوله : { عَمِيَ } إذ جعلت طرفاً لهم وجمعت لاختلاف جهات الكفر ، كما قيل في قوله : { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } على أحد الأقوال وفي قوله : { يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } . وقال الجبائي : الإخبار عنهم بأنهم { صُمُّ } وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ { حقيقة وذلك يوم القيامة يجعلهم صماً وبكماً في الظلمات يضلهم بذلك عن الجنة ويصيرهم إلى النار ، ويعضد هذا التأويل قوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِلَىٰ وَجْوهِهِمْ عُمِيَ } وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا أَهْلُكُمْ جَهَنَّمَ { الآية . وقال الكعبي : { صُمُّ } وَبُكْمٌ { محمول على الشتم والإهانة على أنهم كانوا كذلك في الحقيقة ؛ انتهى . والظلمات ظلمات الكفر أو حجب تضرب على القلب فيظلم وتحول بينه وبين نور الإيمان ، أو ظلمات يوم القيامة ومنه قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا أو الشدائد لأن العرب كانت تعبر عن الشدة بالظلمة يقولون يوم مظلمة إذا لقوا فيه شدة ومنه قوله : % (بني أسد هل تعلمون بلاءنا % . إذا كان يوم ذو كواكب مظلم .

%)

أربعة أقوال : رابعها قاله الليث . { مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ } وَمَن يَشَأْ يُجْعَلْهُ عِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {